يُطلق فقط على المولودين عن اب واحد وامّ واحدة بل ايضاً على كلّ من كان من عشيرة وصُلب واحد وخصوصاً اولاد الاعمام. فاذا راجعت مثلاً سفر التكوين (١٤: ١٦) ترى لوطاً يُدعى اخا ابرهيم وهو ابن عمهِ كما يظهر هناك. وامثال ذلك عديدة (راجع تك ١٣: ٨ و ٢١: ٢٨ و ٢٩: ١٢—١٥ و٢ ملوك ١٠: ١٣) فلا ينتج من ذكر الانجيل لاخوة الرب انّ مريمَ ولدت غير ابن الله

وهنا كان يوسعنا ان نبيّن من الادلّة العقليّة والنقلية بل من نفس الانجيل ان الاربعة (يعقوب ويوسف او يوسي وسمعان ويهوذا) الذين ذكرهم مرقس (٦: ٣) باسم اخوة الرب ليسوا في الحقيقة الّا ابناء اعمام غير انّ ذلك يقتضي فصلاً مطوّلاً لا يسمح بايرادهِ هذه المرّة ضيق المكان. ونكتفي بان نحيل القرّاء الى ما جاء في المشرق في ردّهِ على من زعم بان هؤلاء كانوا اولاداً ليوسف من امرأة غير العذراء (المشرق ٣: ٣٨٠ و ٤١٣ و ٥١١) والصواب انهم اولاد حلفا او كلاوبا من مريم المدعوّة بالانجيل (يو ١٩: ٢٥) اخت امّ يسوع (يريد نسيبتها). والسلام

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي
سريانية بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٨

على مسيرة يوم من الشمال الغربي لمدينة حمص مدينة صغيرة تدعى مصياد يقيم فيها ضمن سور قد تخرّب اكثره نحو الفين من الشيعة الاسماعيليّة في منازل واطية حقيرة منفصلة بعضها عن بعض بارض مملوءة من الأنقاض او حقول تبرز فيها بعض اشجار ضئيلة ونباتات حرقتها الشمس. واماً شوارعها فجميعها ضيقة كثيرة الاوساخ قلّما يمرُّ فيها انسان فهي من المدن التي فارقتها الحياة والحركة من زمان طويل (١. غير انها لم تكن على الحالة التي ذكرنا في ايام الرواية التي نقصّ الان حوادثها بل انها وقتئذٍ كانت حاضرة الاسماعيليين ومقاماً لاميرهم(٢

على انّ هؤلاء الذين قبضوا من قبل مئتي سنة على ازمّة السيادة المطلقة بلا منازع

١) راجع رحلتنا الى بلاد النصيريّة ٢) ياقوت والدمشقي والقلقشندي

في جبل اللكام ووادي العاصي كانت قد تقلّصت سطوتهم من الاماكن المذكورة حيث كانوا قبلاً يحالفون تارةً ملوك الشرق وتارةً يعادونهم ذهاباً مع اهواء سياستهم. ولم يكن رؤساؤهم يشبهون في شيء امراءهم القدماء الذين كانوا يعدّون انفسهم مستقلين ويضيفون الى اسمائهم لقباً يضيفونهُ الى « الدنيا والدين » مع انَّ لقباً كهذا لا يليق الّا بالملوك (١ وحدهم وبالنظر الى تحصنهم في قلاع حريزة لا تُرام مثل مصياد والرصافة والحوابي والكهف والنيقة والقدموس والعليقة استمروا على معصية الخلفاء والسلاطين مدّة طويلة حتى رهبهم الشرق كلهُ وخاف تعدّياتهم وهجماتهم (٢

ولكن السلطان بيبرس انتهى اخيراً الى قهرهم ووضع حدّ لسلطتهم فاستولى على مصياد وسائر القلاع التي تخصّ هذه الشيعة. وقد أثّر فيهم تأديبهُ ثمراً نافعاً لانهم من ذاك الوقت صاروا اطوع لسلاطين مصر من بنانهم فكانوا يستخدمونهم في كل المهمّات الصعبة نظراً لما عُرفوا بهِ من الشجاعة والاقدام (٣. وكان الاسماعيلي (او الفداوي كما جرت العادة قديماً بتسميتهِ) قبل ان يذهب في احدى هذه المهمّات الخطرة التي قلّما يعود منها يتناول ثمن دمهِ فاذا اتفقت لهُ العودة كان الثمن لهُ والّا رجع الى عيلتهِ (٤ ثمّ ان سلاطين مصر كانوا يستخدمون الاسماعيليّين كعمّال سرّيين لهم فلذلك كان المذكورون مطّلعين على خفايا السياسة وغوامضها

وفي الشمال الشرقي من مدينة مصياد قلعة ضخمة قائمة على صخر مرتفع عن الارض بضعة امتار ومنحوت نحتاً عمودياً لزيادة انحداره الطبيعي ورغبةً في جعل القلعة منفصلة عن كل ما سواها تمام الانفصال. وكانت للقلعة أسوار ثخينة مرتفعة مبنيّة من حجارة سوداء ولها بالمقابلة الى خضرة جبل اللكام منظر يأخذ بمجامع القلب فلا يتمالك الناظر الّا ان يشبهها بحيوان ضارٍ متجمّع على نفسهِ كأنهُ يحرس ذاك الوادي الخصيب وادي العاصي حياةَ سوريّة الشرقيّة وروحها المتمشّة

وفي داخل القلعة بعد ان تجوز البوّابة المعقودة بالحجارة ترى طريقاً واسعاً ذاهباً صُعُدًا يؤديك وانت راكب الى الطبقات المختلفة. وعلى اليمين والشمال غرف فسيحة لسكنى الامير وعيلته مع مساكن عديدة لاقامة الحامية. هذا هو الحل الذي اتخذهُ

١) مجموع الكتابات العربية لڤان برشم
٢) المقريزي
٣) القلقشندي
٤) ابن بطوطة والدمشقي

رؤساء الشيعة الاسماعيلية مقاماً لهم من قديم الزمان (١

. . . . . .

ففي ذات يوم من ايام الخريف وقد صباحاً راهب من دير حصن سليمان فارتقى درج السلّم المنقورة في الصخر المؤدية الى مدخل قلعة مصياد. والظاهر ان وجود راهب في هذه المدينة الصغيرة كان من الامور الخارقة العادة لانهُ كيفما سار كان يتبعهُ موكب عظيم من الاولاد ليتفرّجوا على ملابسهِ التي لم تسبق لهم رؤيتها

ولمّا وصل الراهب الى باب القصر ابى الحرّاس ان يأذنوا لهُ في الدخول فسألهم ان يستأذنوا من الامير ويقولوا لهُ ان الاب جرمانوس يريد مقابلتك فما كاد يطرق اذن الامير هذا الاسم حتى امر بادخالهِ دون تأخير وحينئذٍ اوضح الراهب برجيز الكلام غايتهُ من زيارة الامير الموما اليهِ ولا شك انّ القارئ يفطن ان هذه الغاية متعلّقة بالاب يوحنا

امّا الامير الذي ما زال حافظاً عاطفة الامتنان للاب المذكور على مداواة ولدهِ وشفائهِ فلم يقوَ على كظم غيظهِ من سلوك جوسلين. ثمّ انهُ طيّب خاطر الاب جرمانوس ووعدهُ بالتفتيش عن الاب يوحنّا والتنقيب عن مكان وجودهِ وفي الوقت نادى احد الجند قائلاً لهُ:

تذهب اليوم الى القليعة وتتخرط ما بين جنود جوسلين وتسعى جهد امكانك لمعرفة المكان الذي نُفي اليهِ الاب يوحنا فاسرع اذًا في الذهاب ولا ترجع الّا بعد ان تقوم بهذا الامر الذي يهمّني نجاحهُ جدًّا

— سمعاً وطاعةً يا مولاي. قال الجندي هذا الكلام وقبّل ذيل ثوب الامير وسافر وفي اليوم التالي وصل الى قصر القليعة وتظاهر بانهُ شيعيّ من متاولة الهرمل وسأل قبولهُ في خدمة جوسلين الذي لمّا كان راغباً في تكثير الجنود عندهُ لحماية قصرهِ ورأى في الاسماعيلي المتكر رجلًا ممتول العضل طويل القامة بادر سريعاً الى قبول الطلب بكل رضى وهشاشة

وما اقام هذا الغريب طويلًا مع الجنود الحامية لقصر القليعة حتى اكتسب مودّتهم

(١ المجلة الاسيوية سنة ١٨٧٧ و ١٨٩٧ ورحلتنا الى جبال النصيرية

وبينما هو يخوض في الحديث معهم ذات يوم اخبرهُ احدهم انهُ كان في جملة الذين رافقوا الاب يوحنا الى منفاهُ الجديد وبعد قليل من الكلام عرف انهُ نُفي الى جزيرة بجيرة حمص . فاكتفى بما سمع ولم يزد في السؤال

وفي الليلة التابعة أقيم الاسماعيلي خفيرًا على البرج المطلّ على مدخل القصر ولم يكن في الجهة الأخرى المقابلة سوى جنديّ واحد سهران على الحفارة . فلمّا انتصف الليل تزلّج الاسماعيلي بواسطة حبل دلّاهُ على اسوار القصر وسار حتى وصل الى عين الشمس وذهب الى شيخ القرية وطلب منهُ فرسًا فتمنع الشيخ في بادئ الامر ولكن لمّا عرف انّ الطالب فداويّ من اتباع صاحب مصياد سارع الى قضاء كل مطاليبهِ

فلما صار الاسماعيلي المذكور في ظهر فرسهِ جدَّ محضرًا حتى قطع المسافة التي كانت تفصلهُ عن بحيرة قدس باسرع ما يكون من الزمان واستفهم من الاهالي المقيمين بقربها عن الاب يوحنا وبعد ان تأكّد وجودهُ هناك عاد الى مصياد مخبرًا اميرهُ بنجاح مهمّتهِ

امّا الامير فانهُ نادى في الحال احد الفداوية وامرهُ ان يسير الى جزيرة بحيرة قدس حاملًا رسالة منهُ الى الاب يوحنا وقد قال لهُ في الرسالة المذكورة انهُ مسرور جدًّا لكونهِ يستطيع ان يقدّم لهُ خدمة نافعة فعليهِ ان يتبع الرجل الذي يسلّمهُ الرسالة ويأتي بهِ الى مصياد او الى اى موضع آخر يعيّنهُ لهُ . وامّا الحفراء فانهم لا يتعرّضون لهُ اصلًا متى عرفوا ان امير مصياد يطلبهُ

وعند ما وصل الفداوي الى جزيرة البحيرة واطلع الاب يوحنا على قصدهِ رأى من الاب المذكور مقاومة غير منتظرة فاجتهد ان يقنعهُ في مغادرة سجنهِ فأبى وكان غاية ما طلب من امير مصياد ان يسهل للاب جرمانوس زيارتهُ المدّة بعد المدّة

١٩

كان الحفراء الذين عُيّنوا لحراسة الاب يوحنا يشدّدون المراقبة كثيرًا في بادئ الامر فما كانوا يأذنون للزوارق ان تقترب من الجزيرة التي حُبس فيها ولكنّهم ما لبثوا ان تراخوا بعد مرور بضعة اشهر لمّا رأوا اهتمام امير مصياد بشأنهِ وعدم احتيال السجين في وقت من الاوقات على الفرار فضلًا عن ان الاسقام والآلام الطبيعيّة والاديّة كانت

قد اضعفتهُ كثيرًا وبسببها لازم الكوخ الذي وُضع فيه باعلى محلّ من الجزيرة وقلّما كان يخرج منهُ

وقد سبق الكلام ان الاب برمانوس اتصل هذه المرّة الى الاطلاع على مكان منفاه فكان ينفح الحقراء بشيء من النقود ويأتي لزيارته مرّة بالشهر في يوم معيَّن

وكان هذا الشيخ البارّ ينتظر اليوم المذكور بفارغ الصبر لا لأنهُ كان يتعزّى بمشاهدة اخيهِ وصديقهِ في الرهبانيَّة بل خاصَّةً لان الاب برمانوس كان يحمل اليهِ في حقّ من القفَّة جسد الرب الذي يقوّيهِ على احتمال مكاره منفاه بعد ان كان قد حُرم تلاوة القدّاس الالهي من نحو ستة . وهذا هو السبب الذي من اجلهِ كان يشتاق لزيارتهِ ويحسب سلفًا الأيام التي تفصلهُ عنها . وكان اذا حلَّ يومها يخرج باكرًا من كوخهِ الضيق ويجلس على حجر هناك متطلّعًا في الافق لعلَّهُ يشاهد من تاقت اليهِ نفسهُ . وفي ما خلا اليوم المذكور لم يرَهُ الحقراء قطّ في خارج كوخهِ بل انهُ كان يعاني معيشة الحبساء بكامل معناها حتى يمكن القول عنهُ انهُ دُفن حيًّا في محبسهِ

وجاء موعد زيارة الاب برمانوس فأقام الشيخ القديس ينتظرهُ على غير فائدة ومرّ الصباح مع جانب عظيم من المساء ولم يأتِ احد يعكّر صفاء وحدة السجين . ثمَّ ابتدأ الليل نازلًا من اعلى الجبال حيث تنتصب تلك القلعة السوداء قلعة حصن الاكراد . وكانت الشمس قد احتجبت وما عاد يُرى منها سوى انعكاسات وردية تجوز في تضاعيف السحاب تاركةً لها حواشي واهدابًا ارجوانيَّة وذهبيَّة . وفي الجانب الآخر من الفلك ظهر القمر مصفرًّا حزينًا فوق رمال صحراء تدمر الموحشة . وكانت الطيور قد كفَّت عن التغريد وما بقي سوى العصافير في الاشجار متنازعة باعلى اصواتها على افضل الاغصان لمبيتها . وبدأت الخفافيش وقنفذ تخرج من مكامنها طائرةً في الجوّ ما بين دبوات من الحشرات المجنّحة . وكان ذلك في مساء يوم حادّ من شهر ايلول

غير ان الاب برمانوس ما ظهر لهُ اثر وباطلًا كان الاب يوحنّا يحدّق بعينيهِ الضعيفتين في الافق . . . فانهُ ما كان يشاهد غير القفر الموحش . . كان كل دقيقة يُخرج رأسهُ من نافذة الكوخ ناظرًا الى مياه البحيرة وضفافها والاراضي المحيطة بها ويحبس نفسهُ متسمّعًا ويتخيَّل في بعض الاحيان انهُ يسمع صوت مجذاف يضرب سطح الماء . وما كان ذلك في الحقيقة سوى زفير الامواج التي تتكسَّر على الشاطئ . ثم كانت العصافير ترقزق

والخفافيش تطير في كل ناحية غير انهُ لم يكن شيء على وجه البحيرة سوى بعض من البطّ كانت تذهب لتبيت بين القصب النابت على ضفة البحيرة

ولمَّا سئم الشيخ القديس من الانتظار اخذ يسأل نفسهُ عن عاقة الاب جرمانوس. ثم اطبق كتاب صلواتهِ قائلًا: ان هذا اليوم هو موعد قدومهِ فهل أُصيب يا ترى بنكبة في طريقهِ أو هل اضطرم غيظ مضطهديَّ عليهِ؟ ثم خرج متوكئًا على عصاهُ وسار بخطىً مرتجفةٍ اثقلها وقر السنين متوجهًا نحو الشاطئ فاقام يتطلَّع بامعان فما شاهد شيئًا فنادى فما كان غير السكوت جوابًا لندائهِ فأُفعم فؤادهُ حسرةً وغمًّا وصرخ قائلًا ربِّي والهي ماذا يرى؟ اني صابر بكليَّة قلبي على ما اقاسي من الآلام والاضطهادات التي صارت نصيبًا لي منذ سنوات ولكن اسألك ان لا تسمح بان يقاسيها غيري لاجلي

(ستأتي البقية)

نيل الآمال في الرحلة الى قطب الشمال

للاب لويس دي أنسلم اليسوعي مدرّس التاريخ في كليَّة القديس يوسف

كان اجدادنا يعدّون الرجل شديد البأس قويّ المراس. اذا ما باشر سفر خمسين ميلًا بعيدًا من مسقط الرأس. وكان الراحل اذ ذاك يقرئ الاحباب وداعًا. لم يكد يرجو من بعدهِ اجتماعًا. اما اليوم فقد تغيَّرت الاحوال. بتوفر وسائل الانتقال. واضحى السفر الى اقاصي المعمور من اسهل ما ينال. فكم نرى من رحّالة يطوي البيد والصحار ويطوف البلاد والاقطار ويخترق غمار البحار فلا يقرُّ لهُ قرار حتى يرى رأي الابصار. ما جمعهُ الله في ارضهِ من العجائب وكمنهُ من الاسرار. واذا عاد الى الاوطان اسرع الى وصف رحلتهِ وتدوين ما جرى لهُ من الاخبار

هذا وقد كان بقي لآل عصرنا في بعض مجاهل افريقية ومفاوز اميركة وصرود آسية واقاصي اوقيانية بلاد لم يعرفها العلماء حتى العلم فقام رجال مقاديم صارمو القلب اشبال الجأش وتجشَّموا المخاطر وخاضوا غمرات الاهوال حتى فازوا بالآمال وعادوا غانمين وفتحوا لاخلافهم طرقًا نهجوها بصدمهم فوقفوا على سرّ تلك البلاد وتبطَّنوا احوال قومها